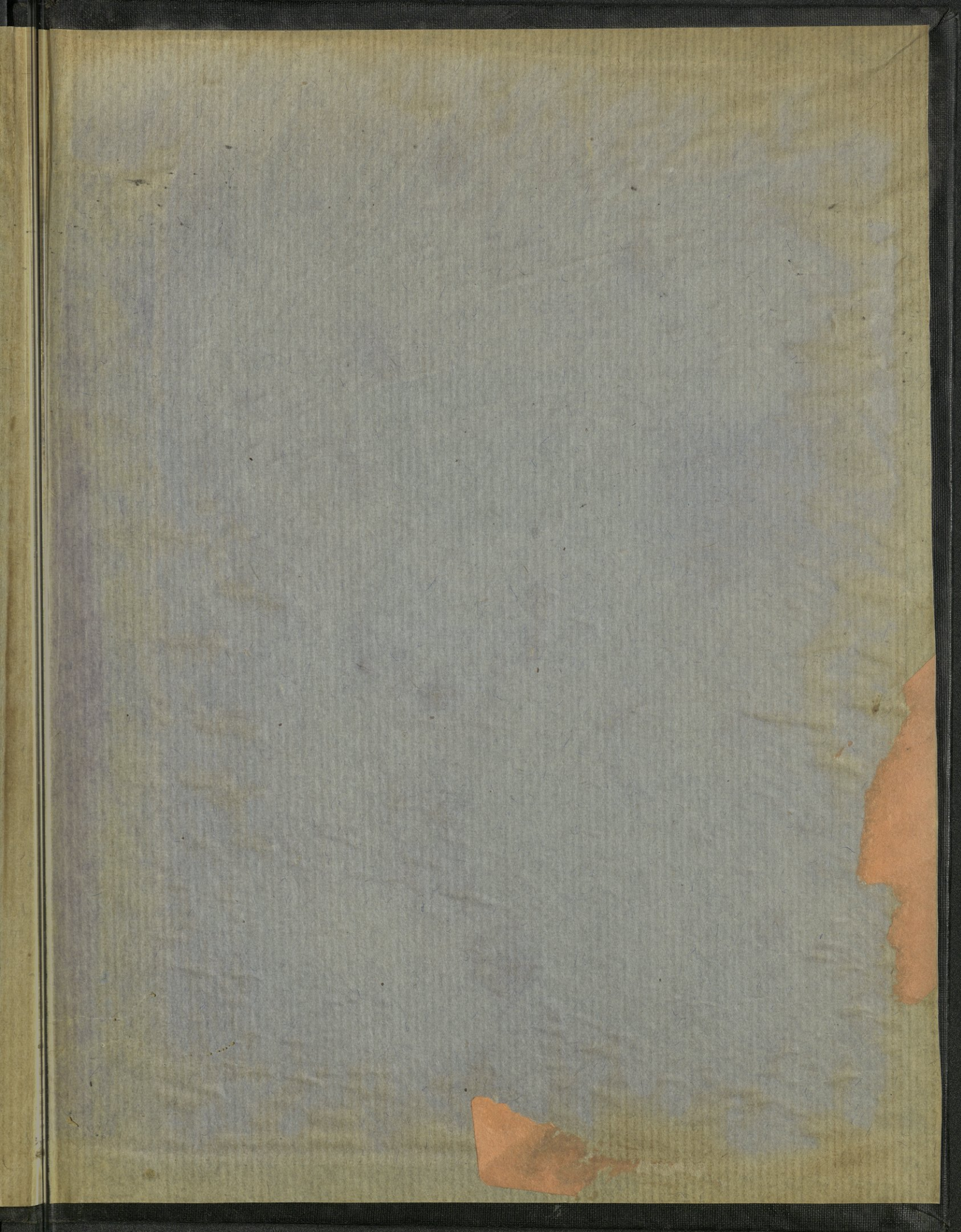




362.11:M96aA C.1

المنجد، صلاح الدين.

بیمارستان نور الدین.

NOV 20 1977

362.11
M96aA
NO 24 C.1.

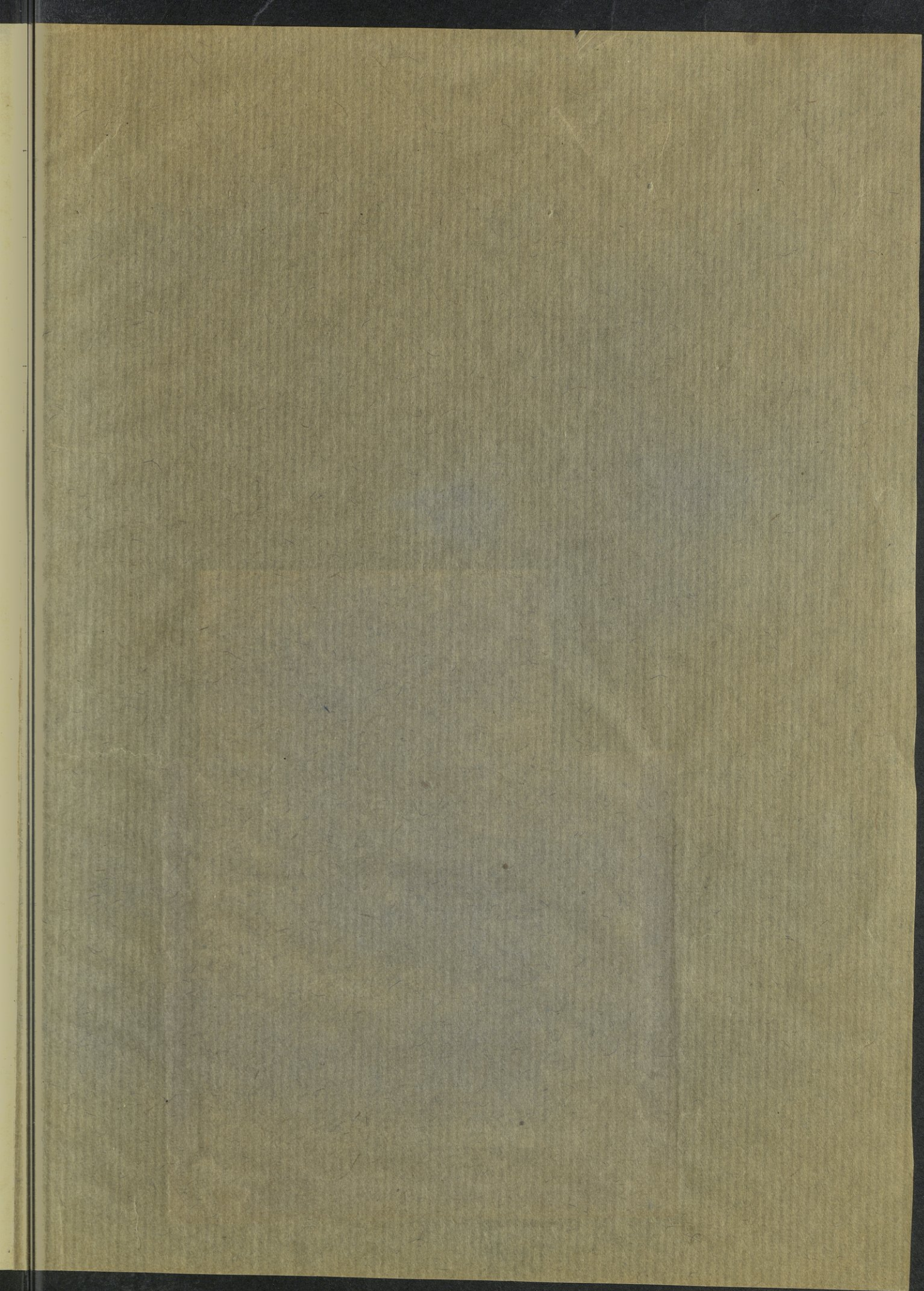
~~NO 24~~

~~51 JUN 66~~

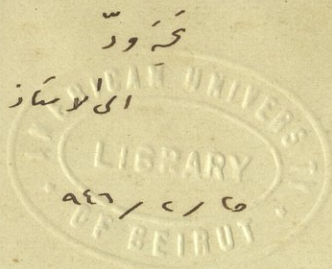
J. Lib.

~~1 FEB 1980~~

F.A.



362.11
M96aA



عند المكتبة

أبنية دمشق التاريخية

بهارستان نور الدين

وضعه

صلاح الدين المنجد

جميع الحقوق محفوظة المؤلف

دمشق

١٩٤٦

cat. 8 Dec: 53



وعز الشرق أوله دمشق
(سوفي)

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه أولى الدراسات المبسطة التي عزمتُ على إخراجها عن أبنية دمشق التاريخية،
وإنه لعمل أشعر بما يحيط به من مصاعب وما يحتاج إليه من جهود؛ فهذه ناحية جديدة
في التأليف عن آثار دمشق لم تطرق من قبل بمثل هذا النهج الذي سلكته . وأعتقد
أن هذا العمل هو أول ما ينبغي أن نُعنى به ، لنطلع أبناءنا على ما في دمشق الجميلة من
روائع الفن الاسلامي ، ولننوّظ فيهم الشعور بالعزّة التي توحىها اليهم هذه الآيات
البارعات ، فلعلهم ان يفيدوا منها ، وان يضيفوا إلى آثار الأجداد آثاراً فيها من
عظمة الماضي ، ومن الحياة ، ما يضمن لها الخلود .
وإني أرجو أن أوفق إلى إخراج حلقات هذه السلسلة فأكون قد قمت ببعض
ما يجب عليّ لمدينتي الخالدة دمشق .

صالح الدببة المنجد

المصادر

١ - المخطوطات العربية

نسخة المكتبة الظاهرية بدمشق	تاريخ دمشق	ابن عساكر
" " " "	طبقات الحنابلة	ابن رجب
نسخة المجمع العلمي العربي بدمشق	تفنيه الطالب والدارس	الذهبي
نسخة المجمع العلمي ونسخة خزانة	مختصر تفنيه الطالب	العلموي
محمد باشا الجليلي في الموصل		
نسخة مديرية الاوقاف بدمشق	مناداة الأطلال	بدر
نسخة المكتبة الظاهرية بدمشق	مختصر المناداة	"

٢ - الكتب المطبوعة

كتاب الروضتين في أخبار الدولتين	المقدس
الرحلة	ابن حبيب
ذيل تاريخ دمشق	ابن القلانسي
البداية والنهاية	ابن كثير
الرحلة	ابن بطوطة
عيون الأنباء في طبقات الأطباء	ابن أبي أصيبعة
أخبار الحكماء	النفطلي
الكامل في التاريخ	ابن الأثير

ابن سُرَاد	سيرة صلاح الدين
ابن أبي الفضائل	سيرة سلاطين المماليك
العلاء الاصفهاني	تاريخ دولة آل سلجوق
الفيثقندي	صبح الاعشى
ابن نغرى بردى	النجوم الزاهرة
ابن العماد	شذرات الذهب
ابن خلدون	وفيات الاعيان
ابن منقذ	الاعقاب
أحمد عيسى	تاريخ البيمارستانات في الاسلام
المجيبى	خلاصة الاثر في اعيان القرن الحادي عشر
المنجد	دمشق القديمة أسوارها أبراجها أبوابها
مجلة المجمع العلمى	(مقالات ونقد للأمر جعفر الحسنى والشيخ محمد دهمان)

٣ - الكتب الغربية

Herzfeld,	Damascus, Studies in architecture I et II
wulzinger & watzinger,	Damascus II, Die islamische stadt
Creswell.	Origin of the Cruciform plan of the Caïrence
	Medrasas
Hartmann,	Art, (Damas) dan Encycl de l'Islam
Zettersteen,	Art, (Nur eddin) dans Encycl. de L'Islam
Diez,	» (Mukarnas) » » » Suppl.
Houtsma,	Recueil de textes relatifs à L'histoire des
	seljoucides
Sauvaget,	Monuments historiques de Damas.
»	Monuments Ayyoubides de Damas. I et II

تحرير

- ١ -

نور الدين في دمشق

نحن في القرن السادس الهجري ، قبيل منتصفه ، والبلاد الاسلامية بأيدي ملوك
وأمرأء مختلفة : ففي العراق خليفة عباسي اسمه المقتفي ، قد وكل أمره إلى السلاجقة
الأتراك . وفي مصر خليفة فاطمي اسمه الظافر ، قد ضعف شأنه وأسرته لذته .
والشام مقسمة ، شطر بيد الصليبيين ، في الساحل وفلسطين . وشطر ، وفيه دمشق
بيد أمير بوري ضعيف ، اسمه مجير الدين آبق . وشطر ثالث ، فيه حلب والفرات ،
بيد أمير من أتابكة السلاجقة اسمه نور الدين ، كان يوالي خليفة بغداد ويدافع
عن البلاد .

وإذا بأهل مصر ينقلبون على خليفتهم الظافر فيقتلونه (٥٤٨ هـ) ثم يولون من
بعده ابنه الفائز (٥٥٥ هـ) ، وهو صبي صغير . عندئذ كتب خليفة بغداد إلى نور
الدين بالولاية على الشام ومصر . وكان نور الدين يرغب في دخول دمشق ليحميها
من الفرنج الذين كادوا أن يحيطوا بها ، والذين اشتد سلطانهم وامتد . ولقد رأى
أنه لا يستطيع الوصول إليهم ، في الجنوب ، لأن دمشق بينه وبينهم . وكان يخشى
بسبب ضعف والي دمشق ، وضعف الخليفة الفاطمي نفسه ، أن يحاصر الفرنج هذه
المدينة فيدخلوها ، ويكون ذلك معرة للإسلام كله . وكان الفرنج ، من جهة
أخرى ، يرغبون في امتلاك دمشق ، ولقد حاولوا ذلك مراراً ، خوفاً أن يملكها

نور الدين فيذيقهم العذاب لشدة بأسه وعظيم وطأته . فعزم نور الدين أن يفتح دمشق ، ولا يرتد عنها كما ارتد في سنة ٥٤٥ هـ وفي السنة التي أعقبها . ليطردوا إليها منها ، ويحميها من كيد الفرنج ويوحدها وحدة سياسية . فركب في جيشه وتقدم نحوها . فحاصر عشرة أيام ، ثم سلم إليه أهل البلد بالدعم لأسباب سياسية واقتصادية فدخل من الباب الشرقي وانتزعها من مجير الدين آبق الذي استنجد بالفرنج وحوصر هو ، ووزيره مؤيد الدولة علي بن الصوفي ، في قلعة دمشق .

وكان ذلك في اليوم العاشر من صفر سنة ٥٤٩ هـ واليوم الخامس والعشرين من ابريل سنة ١١٥٤ م .

وقامت الدولة النورية بدمشق ، وظلت فيها عشرين عاماً إلى سنة ٥٦١ هـ - ١١٧٤ م ، حيث توفي نور الدين ، وانتقلت الدولة إلى صلاح الدين فبدأ حكم الأيوبيين

-٢-

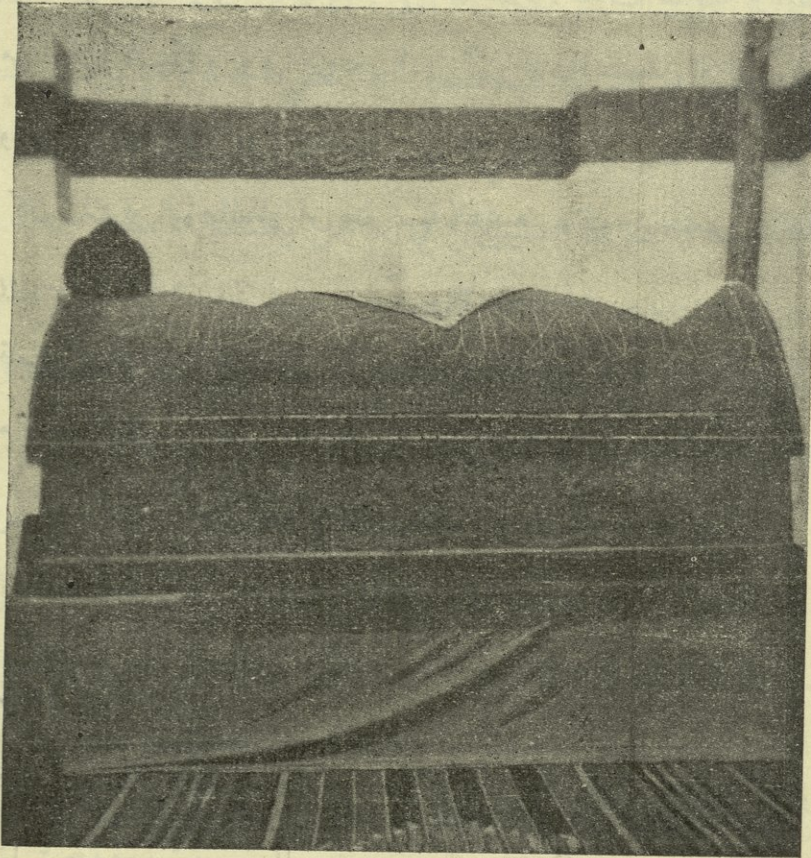
ممه هو نور الدين

ويجدر بنا ، ونحن نفتح سلسلة عن آثار نور الدين التاريخية بدمشق ، أن نترجم لهذا الرجل ترجمة قصيرة .

ولد نور الدين سنة ٥١١ هـ . كان جده آق سنقر (ت ٤٨٦ هـ) من أتابكة السلطان السلجوقي ملك شاه (ت ٤٨٥ هـ) ، فولاه على الجزيرة والموصل . وكان أبوه زنكي (ت ٥٤١ هـ) . قد ولي الموصل مكان أبيه ، ثم أخذ حلب ، فلما مات ، قسمت

مملكته شطرين فاستولى ابنه غازي (١٥٤٤ هـ) على الموصل ، وبقي ابنه الثاني نور الدين في حلب .

وقل أن نجد خليفة أو ملكاً ، اجتمع فيه من الصفات ما اجتمع في هذا الرجل



ضريح نور الدين في المدرسة النورية بدمشق

العظيم ، وهذا يظهر لنا إذا دققنا في الأحوال التي كان بها ، والفوضى التي وجد البلاد عليها ، والأعداء التي حاربها والبلاء الذي أبلاه ، ثم الأعمال التي قام بها .

ونستطيع أن نوجز أبرز صفات نور الدين فيما يلي :

أ - عمراني كبير : كان ميالاً إلى العمران . ترك في دمشق وحلب وحماة والموصل والمدينة وغيرها ، من الآثار ما لم يتركه أحد قبله فقد عمر المساجد والمدارس ودور الشفاء والخوانق والجسور والخانات . وأصلح الطرق وجدّد الأبنية ووسّع الأسواق وحصّن الأسوار .

ب - محب للعلم : أنشأ المدارس الكثيرة لنشر الثقافة الدينية . كالقرآن والسنة والحديث ، ومذاهب الفقهاء . وهو أول من أنشأ مدرسة لتعليم الحديث . ونصب جماعة من المعلمين لتعليم من لا يستطيع التعلم . وحصل على عدد كبير من كتب العلوم المختلفة ووقفها على العلماء والطلاب . وكان يكرّم العلماء ويحببهم إلى ما يطلبون .

و - إنساني : أدّر الصدقات على اليتامى والضعفاء ، وتعهّد ذوي الحاجة ، وأنشأ دور الشفاء للمرضى وأوقف الأوقاف عليهم وعلى العميان والمجانين .

عادل : أكثر في مملكته من بناء دور العدل ، وحضرها هو بنفسه واستمع من المتظلمين الدعاوى والبيّنات طلباً للانصاف وإقامة العدل .

هـ - مقاتل للصليبيين : كان همه الأول أن يهزم جندهم ويطردهم من البلاد ، لتكون موحدة كلّها . وكان في قتاله إيّاهم ثابت القدم ، صليب الضرب ، ذا بأس وسلطان . واستطاع أن ينتزع منهم مدناً وحصوناً كثيرة . وهو في سبيل ذلك سور المدن وحصنها ؛ فبنى أسوار حلب وحماة ودمشق ومنبج . وجدّد الخنادق . وأقام الأبراج ليدافع عن البلاد ويحميها .

آثاره في دمشق:

أما آثاره في دمشق فكثيرة ، ومعظمها من صنعه . ونلاحظ أن هذه الأبنية كانت وسائل إلى أهدافه . فهو قد عني بقتال الصليبيين ، فازدهر العمران الحربي في دمشق . وعني بنشر السنة ومحاربة المذهب الفاطمي ، فأسس فيها المدارس للشافعية والحنفية والحديث . وعني بإقامة شعائر الدين ، فعمر وجدّد مئات من الجوامع . ورحم رعيته فعمر لها دور الشفاء .

وأهم ما بناه نور الدين في دمشق وما سنذكره في نشراتنا مايلي :

أ - تحصين سور مدينة دمشق وتجديده وبناء الأبراج فيه . وتجديد بعض الأبواب وتعمير البашورات . ولقد جمع القضاة والفقهاء مرّة وسألهم أن يصرف فواضل الأوقاف في عمارة أسوار دمشق وعمل خنادقها لصيانة أهلها فأثمتوا له بذلك .

ب - بیمارستان النوري بدمشق .

و - دار الحديث النورية .

ء - المدرسة النورية الكبرى .

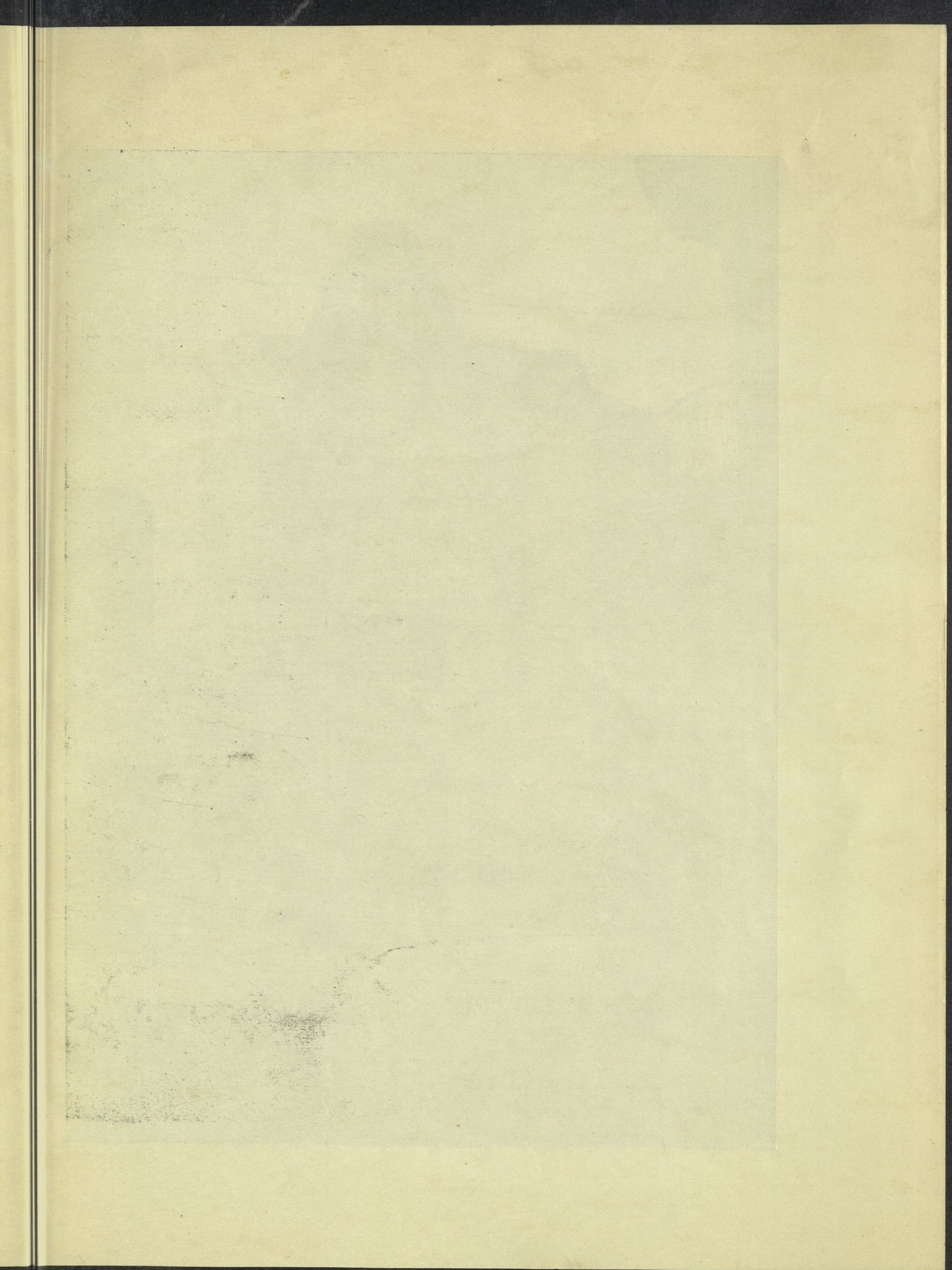
هـ - المدرسة العمادية . مدرسة الكلاسة .

و - حمام نور الدين .

ز - جامع قلعة دمشق . جامع حارة اليهود . مشهد أبي سليمان الداراني .

أما الأسوار والأبراج والأبواب فقد نحدثنا عنها في كتابنا « دمشق القديمة أسوارها . أبراجها . أبوابها » . وسيكون موضوع هذه الدراسة بیمارستان نور الدين .





بهارستان نور الدين

البهارستان لفظة فارسية ركبت من كلمتين « بهار » ومعناه مريض و « ستان » ومعناه « مكان » ؛ فتسكون إذا « مكان المرضى » أو « دار الشفاء » أو « مستشفى » .

وهذا البهارستان هو بناء تاريخي مسجل ، رقمه (١٧) في قائمة الأبنية التاريخية .

موقعه - يقع في الزقاق المسى اليوم باسمه « زقاق المارستان » وهذا الزقاق يتفرع عن سوق الحميدية ، ويقابل الزقاق المؤدي إلى العصرونية ، من جهة الجنوب . وكان يسمى في القديم « الرصيف » .

وفي هذا المكان ، داخل البهارستان أو خارجه ، قدّر ولزنجر وسوفاجه أن سور المدينة الروماني القديم ، قبل انساعه نحو الغرب ، كان يمر منه . ولا بد من إجراء تنقيبات لاثبات ذلك .

قصته - بني هذا البهارستان سنة ٥٤٩ هـ . وهي السنة التي دخل نور الدين فيها دمشق فيكون أول بناء من أبنيته فيها .

سبب بنائه - والسبب في بنائه ، أن نور الدين كان قد أمر بنفسه في بعض غزواته أحد ملوك الفرنج الصليبيين . فعرض الصليبي عليه أن يطلقه لقاء مال عظيم يفندي به ، قدّر بثلاثمائة ألف دينار . فأطلقه نور الدين ، وابنى بما أخذه ، أو يعضه ، هذا البهارستان .

وهو أول بهارستان عظيم في دمشق ، لم يُبن فيها قبله مثله ولا بعده .

وقفه - وقد أوقفه نور الدين على الفقراء ، دون الأغنياء ، ولكنه استثنى بعض الأدوية التي لا توجد إلا فيه ، فكان الأغنياء من أخذها إذا احتاجوا إليها ولم يجدوها في مكان آخر . وكان كل من جاء البيمارستان طبيباً وأعطى شرابه ، وإن كان غريباً احتفي به وقدم إليه أحسن المآكل .

الناظر في أمره - وكان ينظر في أمره قاضي الشافعيين ، أو وكيل بيت المال وناظر الخزانة ، أو المحاسب ، أو ناظر ديوان النائب بالشام . ومنذ القرن الثامن استمر النظر في أمره بأيدي ديوان نائب السلطنة وفي أوائل عهد الأتراك كان يتولاه القاضي ؛ ثم تولاه الأعيان .

مرضاه - وكانت المرضى التي ترد إليه كثيرة . وكانت نفقاته تبلغ مبلغاً كبيراً . حتى أنه كان ينفق فيه كل يوم خمسة عشر ديناراً . وكانت أسماء المرضى تثبت في صحائف ، وتكتب النفقات التي يحتاجون إليها ، من الأدوية والأغذية ، فتقدم إليهم ، ويعني بأمرهم ، فلا يخرجون منه حتى يشفون . وكانت الخدمة تترد أمام المرضى ، يخدمونهم في كل ما يطلبون .

أطبائهم - وقد اختار نور الدين من الأطباء رأساً له أبا المجد بن أبي الحكم . وكان من أكبر الأطباء في عصره ، فكان يتردد إليه ليعالج المرضى فيه ، فينفق أحوالهم ، ويكتب ما يحتاجه كل مريض من المداواة والعديبر والأغذية . وقد نظر في معالجة المرضى فيه أكبر الأطباء في كل عصر ، كهمذ الدين النقاش (ت ٥٧٤ هـ) وموفق الدين ابن المطران الذي توفي (٥٨٧ هـ)

وفي خزانة كتبه ما يقارب عشرة آلاف كتاب طبي ، وموفق الدين عبد العزيز
(ت ٦٠٤ هـ) ومهذب الدين عبد الرحيم الكحال (ت ٦٢٨ هـ) ، والجمال أحمد
ابن عبد الله (ت ٦٤٩ هـ) ، وابن قاضي بعلبك . وعمران الأسراني (ت ٧٣٦ هـ)
وعبد الله بن عبد الحق (ت ٨٩١ هـ) . وغيرهم كثير .

خزانة كتبه - وكان من الطبيعى أن يكون في البيمارستان خزانة كتب طبية
يرجع إليها الأطباء . ولهذا أوقف نور الدين عليه جملة من الكتب الطبية
كانت توضع في الخرسانيين في صدر الإيوان الكبير .

دروس الطب فيه - وكان الإيوان الشرقي الكبير يتخذ مكاناً لتدريس
الطب . وكان مفروشاً أحسن فرش . وكان أبو المجد ، بعد تفقده المرضى
من أعيان الدولة ، ومرضى البيمارستان ، يأتي فيجلس فيه . ويحضر الكتب
فكانت جماعة من الأطباء والمستغلين يأتون إليه ، ثم يجري مباحث طبية ،
ويقري التلاميذ ، ولا يزال معهم في اشتغال ومباحثة ونظر في الكتب مقدار
ثلاثة ساعات كل يوم .

* * *

البيمارستان في مختلف العصور

وأهم الأمور التي طرأت على البيمارستان ما يلي .

أ - في سنة ٥٤٩ هـ بني البيمارستان .

ب - حدثت زلزلة كبيرة في دمشق سنة ٥٩٧ هـ فسقط بعضه . وأعيد

بناء بعض أجزائه .

ج - أضاف إليه بدر الدين ابن قاضي بعلبك ، الذي ولاه الملك الجواد مظفر الدين الرئاسة على جميع الأطباء ، دوراً ملاصقة له ، وجعلها من جملته ، وكبر بها قاعات كانت صغيرة ، وبناهما أحسن البناء ، وجعل الماء فيها جارياً وكان ذلك سنة ٦٣٥ هـ .

د - جددت القاعة اليمنى بعد المدخل في نيابة آقوش النجيبى في زمن الملك الظاهر بيبرس ، بعد منتصف القرن السابع الهجري .

هـ - جددت بعض أقسامه في زمن السلطان قلاوون سنة ٦٨٢ هـ وأضيف إليه السبيل القائم على يمين الداخل من الباب الخارجى .
و - جددت القاعة اليمنى نفسها في نيابة أرغون شاه سنة ٧٤٩ هـ في أيام السلطان بدر الدين حسن .

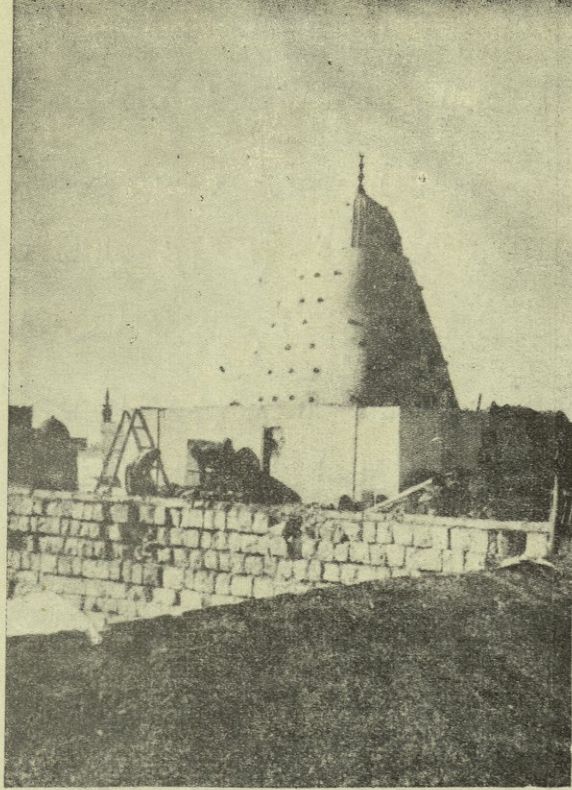
ز - ولى وقفه حسن باشا ابن عبد الله الأمين أحد أعيان دمشق (١٠٢٧ هـ) فأنام شعائره بعد أن أضحكت ، وعمر أوقافه وأتى فيه من حسن التعمية بما لا مزيد عليه .

ط - ظل البيمارستان يعالج فيه المرضى إلى سنة ١٣١٧ هـ . وتوقف عن العمل عندما قامت بلدية دمشق ، في عهد ناظم باشا ، بإنشاء مستشفى الغرباء في جنوب التكية السليمانية .

ي - اتخذ ميثماً للبنات أثناء الحرب العامة .^(١)

ك - اتخذ مدرسة للتجارة سنة ١٩٣٧ م - ١٣٥٦ هـ

(١) لم يستطيع ولنجر ووترنجر أن يدخلوا إليه سنة ١٩١٦ م لأنه كان ميثماً .



القبة قبل إصلاحها

ت - عنيت به مصالحة
الآثار القديمة ، فأظهرت
مقرنصات قبة من
الخارج ورفعت الطلاء عن
نقوشه في باطن الأواوين
وأعادت تركيب بجرته ،
وجددت بعض جدرانها
وفرشت صحنه ، وأظهرت
بعض الكتابات التي لم
تعرف من قبل ، وأعادت
نوافذه الجصية على طراز نافذة
قديمة فيه . وقد بدأت هذه

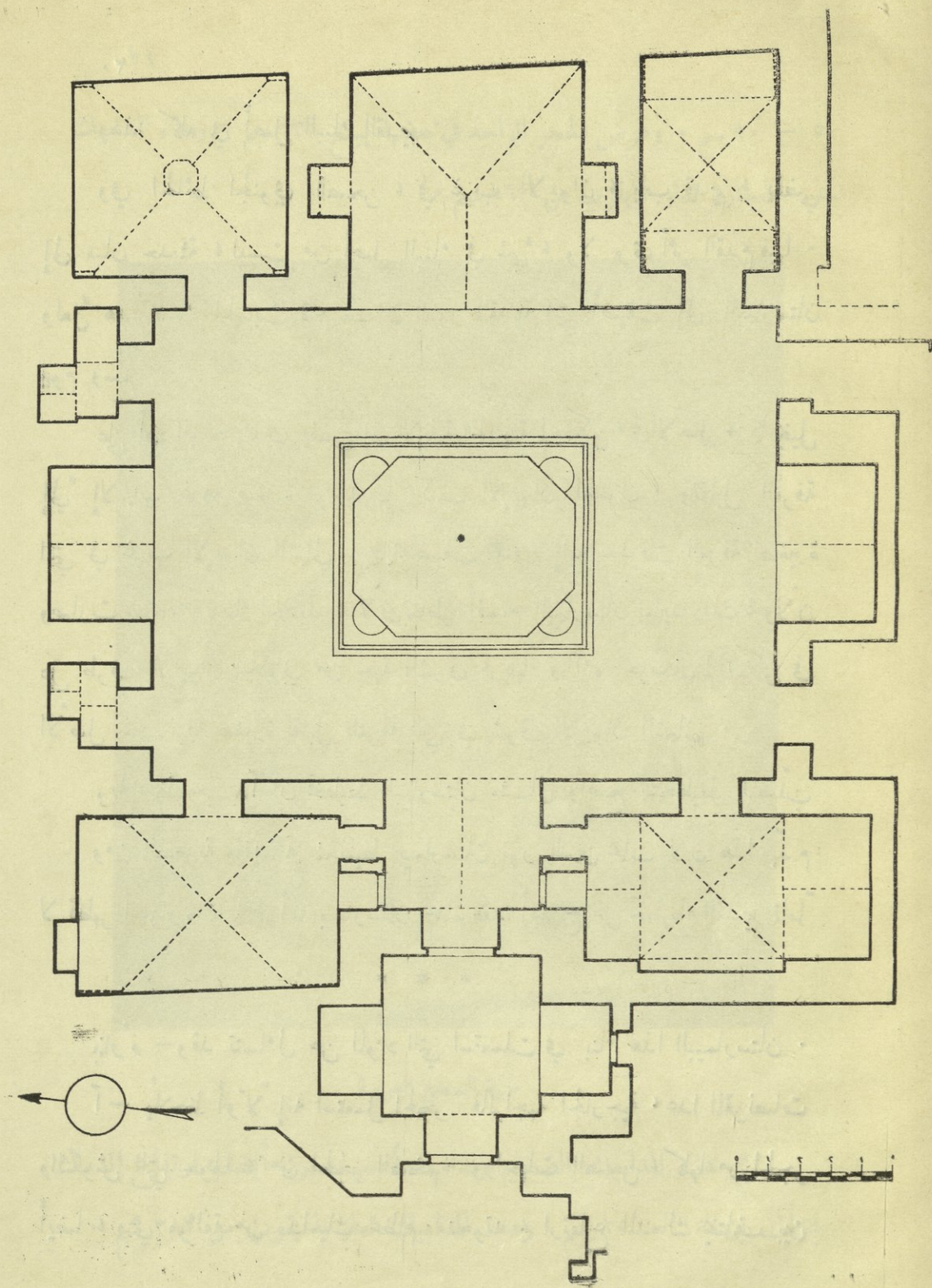
الأعمال منذ ٩٣٨ م ، وما زالت حتى عام ٩٤٥ .

* * *

تخطيطه - يؤلف البيمارستان ، مستطيلاً (٤٠.٥٠ × ٢٧ م) ، عدا البناء
الحديث المالحق به ، فتكون مساحته كله ، ما يقرب من ١٠٩٣ م^٢ .
الباب الخارجي ، يلاصق بيمينه سقاية مقرنصة جميلة ، وهي التي أضيفت زمن
قلاوون ، ثم يفضي الباب إلى مدخل مربع ضلعه ٤.٥ م ، رفعت فوقه قبة
مقرنصة من الداخل ومن الخارج ، وقد جُبل على كفتي المدخل من الشمال

والجنوب نصفاً قبة ، تشبهان المقرنص الذي يعلو الباب الخارجي ، وتحت نصف القبة الجنوبية باب يُفضي إلى ساحة في وسطها بحيرة ، أثبت هرزفلد تخطيطها ، وحولها غرف للغسيل والطهارة . إن هذه الغرف والبحيرة ، لم يبق منها اليوم شيء ، ولا يرى غير مبدأ أقواس ثلاث ، يُظن أنها كانت تمسك عقداً . ومن المدخل المربع تفضي من باب ثان يواجه الأول تماماً ، إلى دهليز طويل ذي عقد . وعلى اليمين والشمال غرفتان ، لكل منهما نافذة وباب على الدهليز . ولهاتين الغرفتين بابان آخران على الصحن .

والصحن واسع مستطيل (٢٠ × ١٤٩٥ م) ، تنوسطه بحيرة واسعة (٧٢٣ × ٦٣٢) . تشبهها بحيرة المدرسة الشامية ، وبحيرة النورية ، وقد جذدت أخيراً على طرازها بحيرة المجمع العلمي (العادلية) . ويحيط بالصحن إيوان شرقي كبير فتحته ٧٤٥ م ، وإيوانان منظران صغيران ، في الشمال والجنوب ، الأول فتحته ٤٩٧ م والثاني فتحته ٤٩٢ م . وعلى طرفي الإيوان الشرقي الكبير غرفتان أثبتهما هرزفلد منتظميتين في أضلاعها . والملاحظ أنهما غير ذلك ، فالخط الشرقي للبيمارستان ينحرف نحو الشرق كلما اتجه من الشمال إلى الجنوب ، وهكذا يكون الضلع الجنوبي للغرفة الجنوبية أطول من الضلع الشمالي للغرفة الشمالية . وهذا مثبت أيضاً في دائرة التحديد العقاري . وهكذا نرى أن الغرفة الجنوبية غير منتظمة الأضلاع ، كما نلاحظ أن قسماً كبيراً منها ومن عندها قد سرق وأدخل في دار مجاورة . وكذلك أنجد على طرفي الإيوان الشمالي غرفتين صغيرتين .



وهذا كله في أصل البناء القديم .

وفي الحائط الجنوبي للصحن ، في غرب الإيوان ، باب قديم ، يفضي إلى مبان حديثة ، ليست من أصل البناء في شيء ، ولا يرى أثر القدم فيها . ولعل هذا البناء الحديث قام مكان الدور القديمة التي أُضيفت إلى البيمارستان يوم وسع .

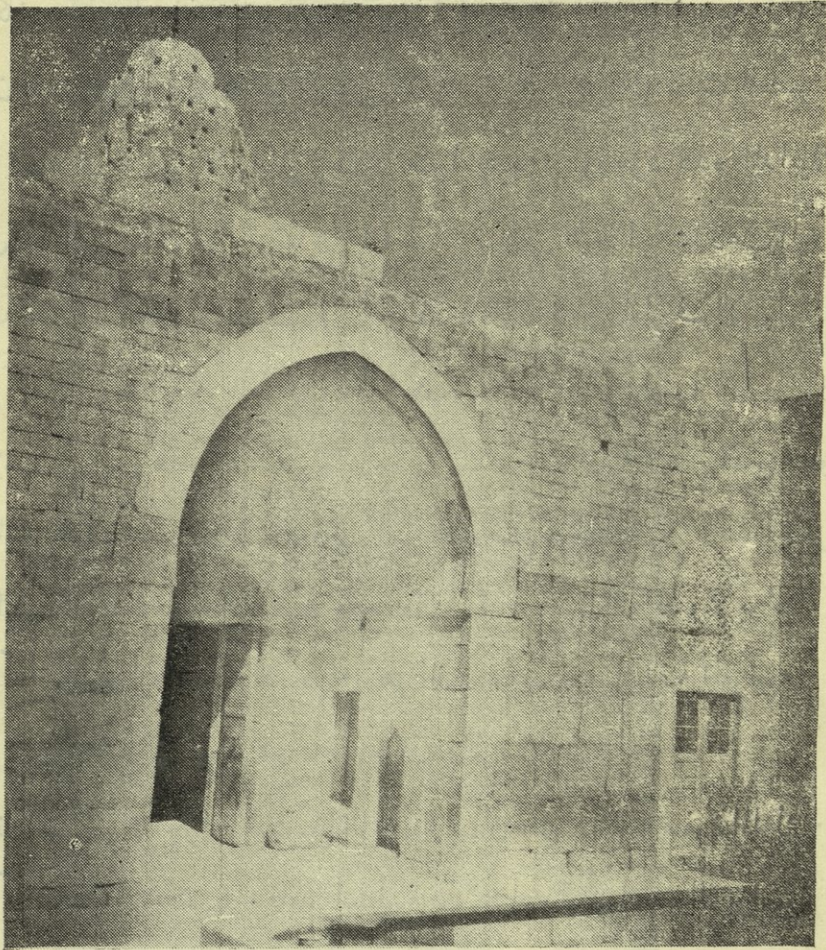
على أن الباب الذي يفضي إلى الأبنية الحديثة لم يكن ، في الأصل ، كما يخيل إليّ إلا باب غرفة صغيرة توجد على كتف الإيوان الجنوبي ، وتقابل الغرفة التي في غرب الإيوان الشمالي . فلما أُضيفت الدور إليه حذفت الغرفة الصغيرة وصارت مدخلا للبناء الجديد ؛ لأن تناظر أقسام البيمارستان يؤيد ذلك ، ولأن على طرف الإيوان الجنوبي من جهة الشرق ، باباً وراءه خرستان لم تكن في الأصل غير غرفة صغيرة تقابل الغرفة التي في شرق الإيوان الشمالي .

ويلاحظ جيداً أن تخطيط البيمارستان مثال واضح للتخطيط المصلب ومن الصعوبة مقايسته بتخطيط بيمارستان نور الدين بحلب لأن هذا مهتم لا تظهر أجزاؤه تماماً ، أما بيمارستان حماة فقد أُخرج عن تخطيطه القديم تماماً

* * *

بناؤه - وقد تتساءل عن المواد التي استعملت في بناء هذا البيمارستان .
أ - يلاحظ أولاً أنه استعمل الحجر . فالواجهة الخارجية ، عدا المقرنصات والنقوش التي حولها ، من الحجر الضخم . وواجهات الصحن ، كلها من الحجر أيضاً ، وهي مؤلفة من مداميك عظام منحوتة ، ارتفاع المداميك يختلف بين

٥٠ - ٩٠ سم . وعرض الحجر الواحد في بعضها يبلغ ١٣٠ سم . وهذه المداميك
بهذه الحجارة تعلو ما يقرب من ٤٦٠ سم .



جبهة الصحن الغربية

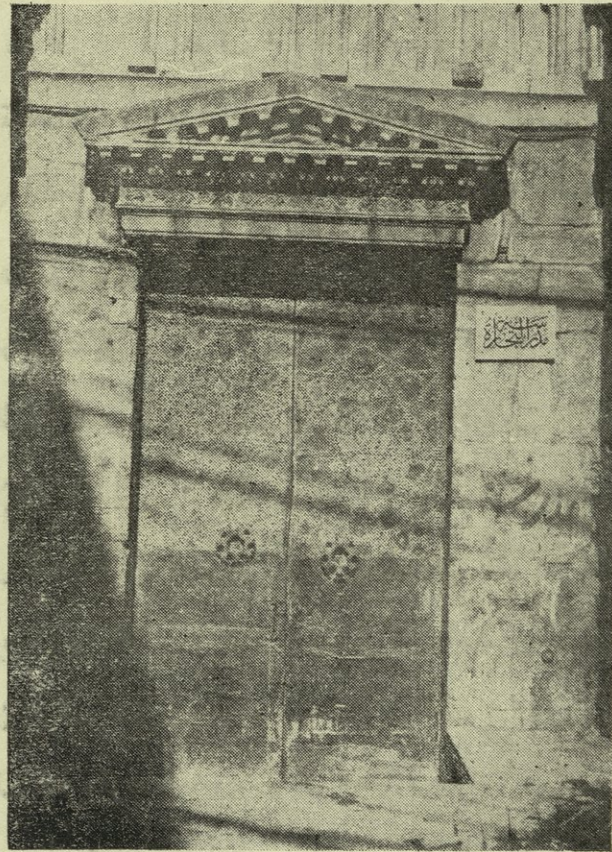
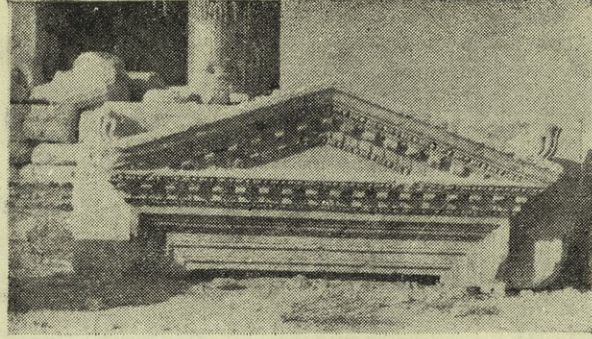
ويلى هذه المداميك الضخام ، مداميك أصغر منحوتة أيضا ، ارتفاع المدامك
يختلف بين ١٨ - ٢٥ سم . وهذه المداميك تعلو ما يقرب من ٣٨٢ سم .

وأعتقد أن وجود هذه الأحجار الضخام في بناء البيمارستان يسمح لنا
بمناقشة سوفاجه الذي زعم أن جميع الأبنية في القرن السادس الهجري في
دمشق ، كان مبنية بمواد خفيفة ، وأحجار صغيرة الحجم (المباني الأيوبية ٣٢/١)
وإذا كان هذا القول صحيحاً على بعض الأبنية التاريخية في ذلك العصر ،
كالنورية الصغرى ، فهو لا يطلق إطلاقاً عليها جميعاً . ووجود هذه المداميك
الضخام في بناء البيمارستان على ارتفاع ٤٦٠ سم . يكفي لإخراجه مما ذهب إليه .
وكذلك نجد الحجر المنحوت في أطراف العقود ، وفي أطراف الأبواب ،
وثمة حجر آخر ، وهو الحجر الطري ، فقد استعمل في بناء العقود نفسها .

ويلاحظ أن بين هذه الأحجار ما أخذ من مبان أخرى ، فالتاج الذي يعلو
الباب الخارجي ، قد أخذ من بناء روماني آخر ، ووضع فوق الباب . وهذا الحجر
يشبه كل الشبه التيجان الموجودة في معبد بعل في تدمر فوق النوافذ والأبواب
٢ - واستعمل في بنائه الآجر . وهو الذي ساعد على بناء القبة المقرنصة
التي تلي الباب ، والتي يبدو فيها أثر العراق والموصل .

ونلاحظ أن الآجر ، استعمل قبل البيمارستان ، في بناء قبة صفوة الملوك .
٣ - وهناك الخشب ، فلقد استخدم في عتبات الأبواب والأبواب
نفسها ، وبعضه بسيط وبعضه منقوش .

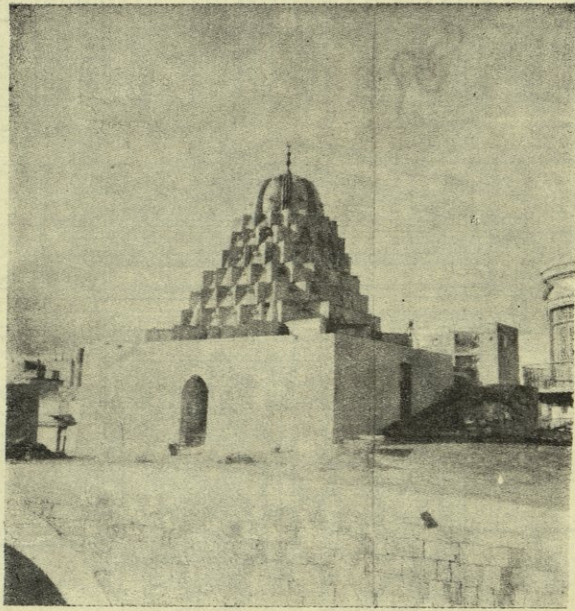
٤ - وأخيراً نلاحظ أن المونة التي بين الأحجار ، قد جعلت
خليطاً من الرمل الأبيض ، والكلس ، والرماد (أصرمل) ، وهذا المزيج
يؤلف مونة قوية جعلت في مفاصل البناء .



١- تاج من معبد بعل بتدمر ٢- باب البجارسنان

الزخارف والنقوش - يُعد بيارستان نور الدين من أغنى آثار الدولة النورية
 بالزخارف التي كانت فيه زمن بنائه أو أُضيفت إليه فيما بعد وهذه الزخارف هي :
 المقرنصات ، زخارف على النحاس ، الحشب المنقوش ، نقوش في الرخام
 وفي الحجر ، زخارف من الجص ، دهانات زخرفية على الجدران .
 المقرنصات : أما المقرنصات فهو ما يسمونه Sta lactite أي مخروط من
 الجليد ، قاعدته في السقف ورأسه مدلى إلى الأرض ، وقد أطلق هذا الاسم
 على كل مقرنص ، أو مجوف ، وإن لم يكن مدلى .
 والمقرنصات في هذا البيارستان نجدها فوق الباب الخارجي ، وفي القبة
 التي فوق المدخل ، وفي نصفي القبة اللتين على كفتي المدخل .
 وتبدأ مقرنصات الباب الخارجي فوق التاج البيزنطي الذي يملو الباب ، إذ
 يبدأ إطار مستطيل حول المقرنص ؛ فيه زخارف هندسية متشابكة : مشعرات
 مترادفة طولاً ، وكأنها كانت مترادفة عرضاً فقطعت . وقد بقي قسم منها في
 جانب الإطار الأيسر . ويذهب سوفاجه إلى أن زخارف الواجهة ليست من
 عصر نور الدين ، في حين يؤكد هرزفلد بحق أنها من ذلك العصر . وفوق
 التاج تقوم أربعة محاريب كبار ، يفصل كل واحد من الآخر عمود جصي ، وبين
 كل اثنين محراب صغير . وقد صنعت من الجص ، وروؤسها محزّمة . وفوقها
 تقوم نصف قبة مقرنصة ، ويبدو أن هذا المقرنص ، هو نصف دائرة تماماً لكنها
 بسطت أو بطحت . وهذا الباب بما فيه ، هو الوحيد من نوعه بدمشق .
 أما القبة المقرنصة التي فوق المدخل ، فهي من أجمل القباب بدمشق ، وهي

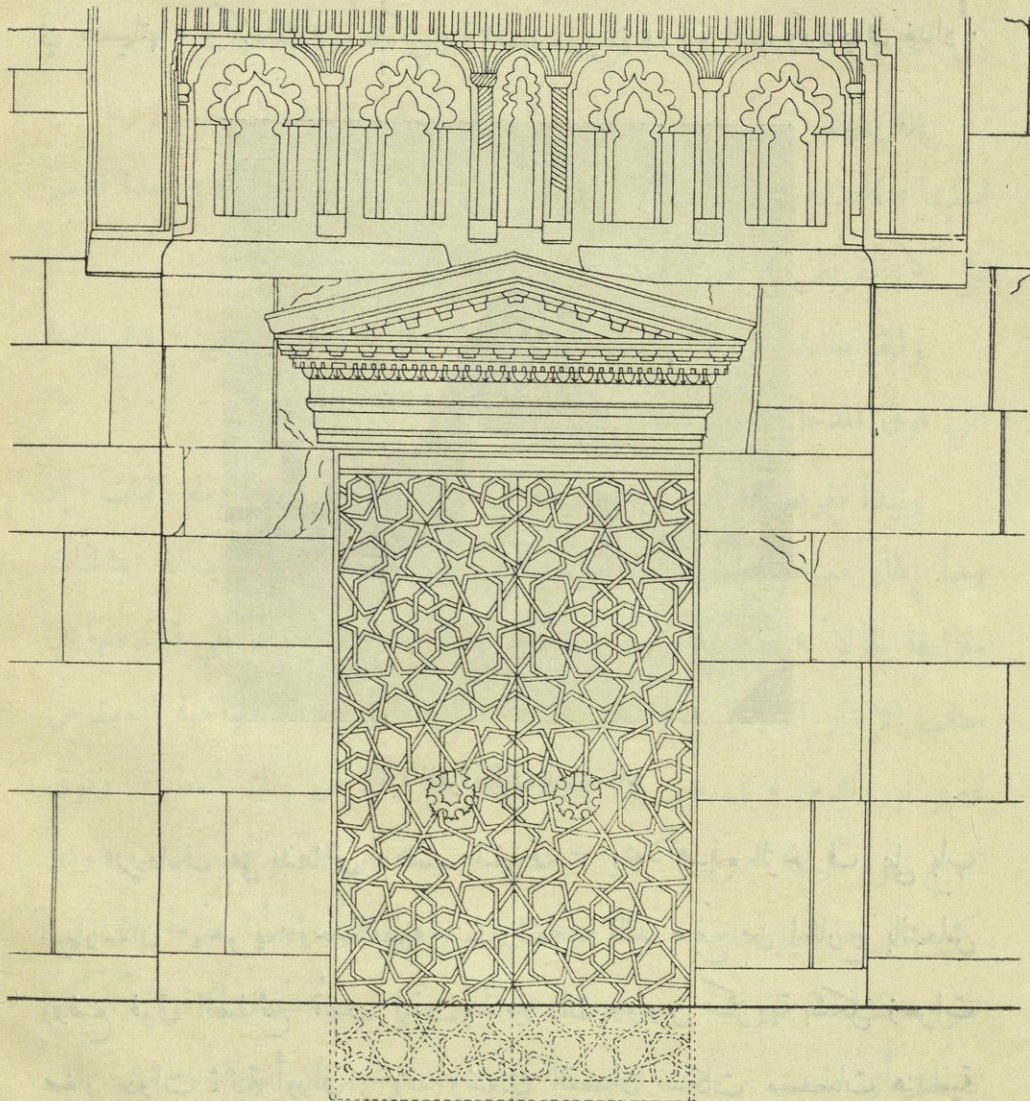
من طراز غريب عن مدرسة العمارة السورية ، فقد حمله نور الدين معه من العراق . وقد كانت مغطاة من الخارج بالجنس ، فكشفتها مصلحة الآثار القديمة . وهي تشبه قبة المدرسة النورية الكبرى بدمشق ، غير أنها تختلف عنها في تقسيماتها وكذلك هي تحاكي قبة السيدة زبيدة ، وقبة السهروردي في بغداد .



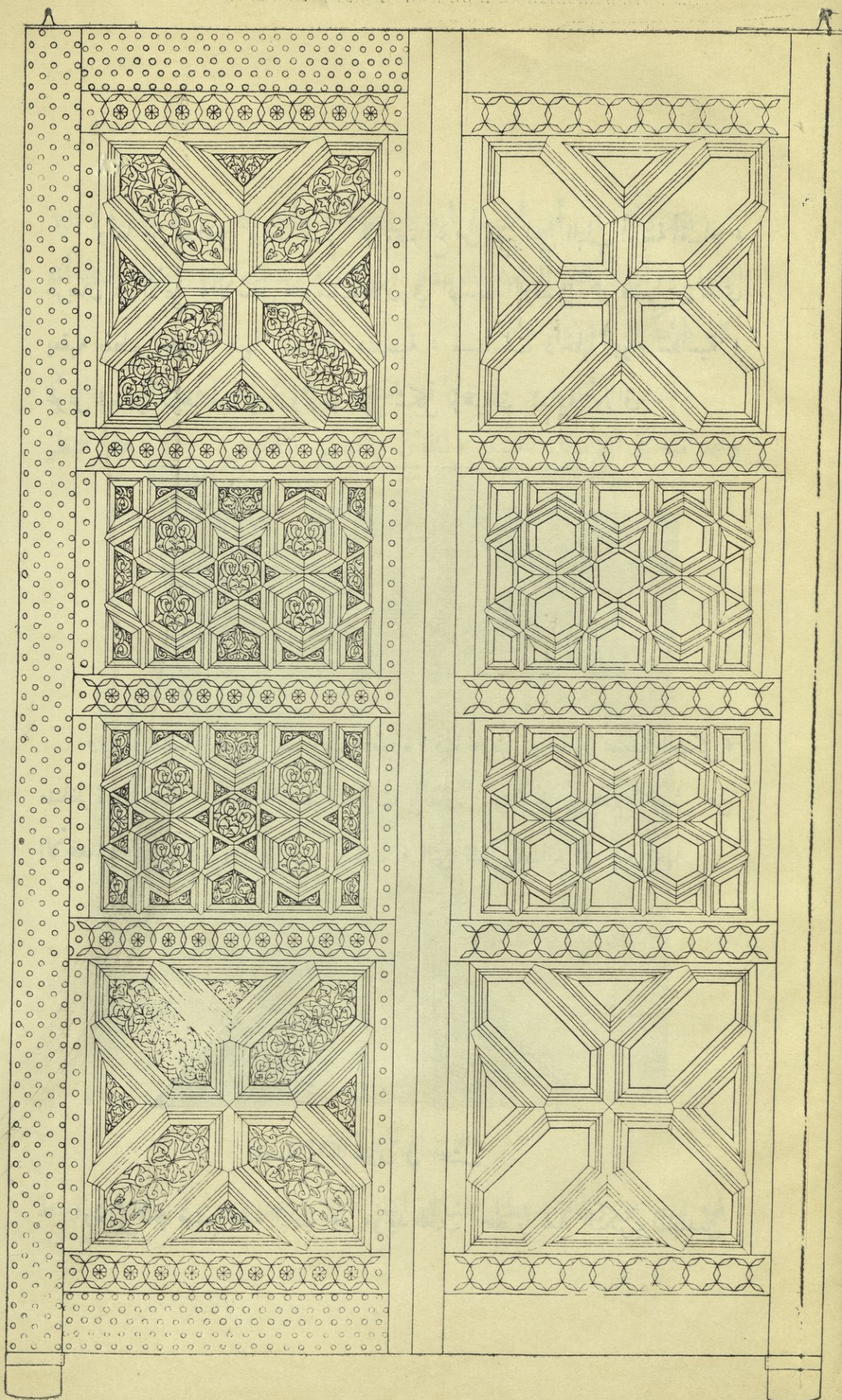
القبة المقرصة في البهارستان

الزخارف على النحاس والخشب المنقوش - ونجد هذه الزخارف على باب البهارستان . وهو يعد وحده قطعة فنية رائعة . فلقد صفيح من الخارج بالنحاس ووضع فوق الصفائح قُضب ثبتت بمسامير ذات رؤوس كروية بشكل زهرات صفار ذوات ثمانية أوراق . وقد وضعت القضبان فشكت مسدسات هندسية منتظمة ؛ بعضها أصغر من بعض ، وقد تشابكت معاً ، ونشأ بينها نجوم خماسية

وهذا اللون من الزخارف ، بهذه الطريقة ، رائع ونادر . وعلى مصراعي الباب
دقاقتان كبيرتان من النحاس ، مستديرتان ومخترمتان .



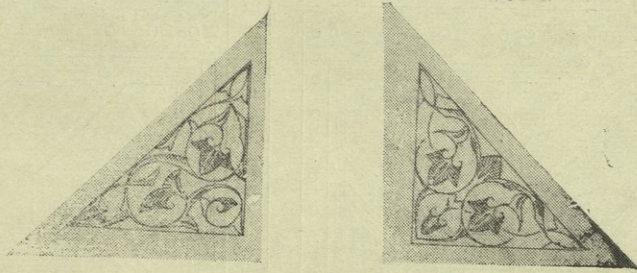
زخارف الصنائع النحاسية في الباب



وأما من الداخل ، فقد قسم كل مصراع من مصراعي الباب أربعة أقسام ،
مربعان في الأعلى والأسفل ، ومستطيلان في الوسط وفُصل كل قسم من الذي
يعقبه بقطع حديدية فيها أشكال هندسية : مسدسات داخلها نجوم سداسية ،
غرس في مركزها مسامير رؤوسها على شكل زهرات ثمانية أوراق .



وفي المربعات والمستطيلات قطع محفورة ، فيها نقوش نباتية ، مختلفة الشكل ،
ممتناظرة الأقسام ، دقيقة الصنع ، حفرت بإتقان . ولا تخرج هذه النقوش عن
الأغصان المتشابكة والأوراق الكثيرة ، التي تفنن الصانع في إخراجها .

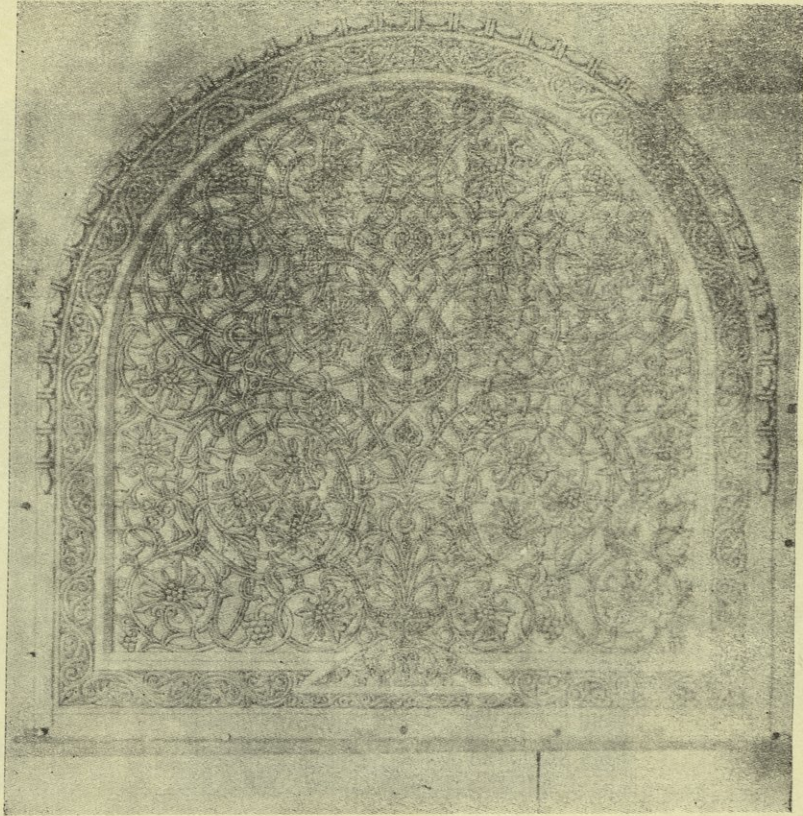


تفصيلات الزخارف في الخشب

ولعلّ الذي صنع هذا الباب هو مؤيد الدين أحمد بن عبد الكريم المهندس

فقد ذكر ابن أبي أصيبعة أنه كان نجاراً ، وأنه كان له بالنجارة اليد الطولى ، وأن أكثر أبواب المارستان من نجارته وصنعتة ، وزاد الصفدي أنه كان بارعاً في نقش الرخام .

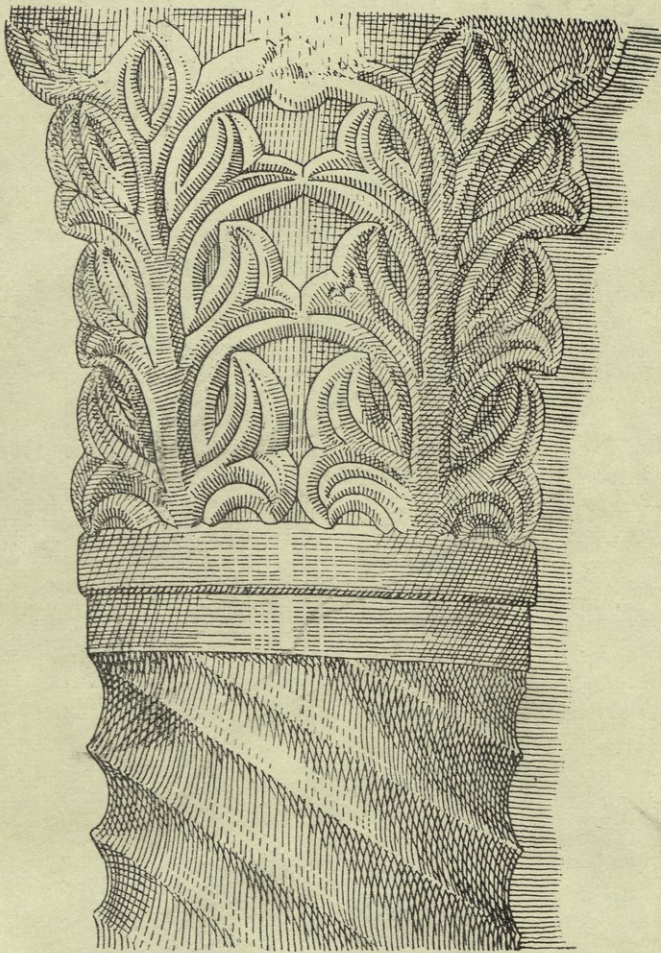
زخارف الرخام - والرخام قد استخدم كأداة زخرفية في البيمارستان ، ونجد منه في الإيوان الجنوبي ، الملوّن والمفصّص والمنقوش . ومما يدهش النظر



اللوحة الرخامي المزخرف

فيه لوح من رخام مستطيل الشكل أغلق أعلاه بخط منحني ، ووضع في وسط

الحائط الجنوبي بمثابة محراب . وعلى جانبيه عمودان ، أخذنا من إحدى الكنائس .
واللوح الرخامي نفسه ، ما هو غير لوح مذبح أخذ ونقش فيه . ونقوشه في منتهى
الروعة والجمال ، وهي تمثل أغصان كرمة متشابكة متشعبة ، كثرت أوراقها



تاج العمود الذي بجانب لوح الرخام

وتهدأت عناقيدها . وقد أحيط هذا كله بإطار من الزخارف النباتية المتعرجة

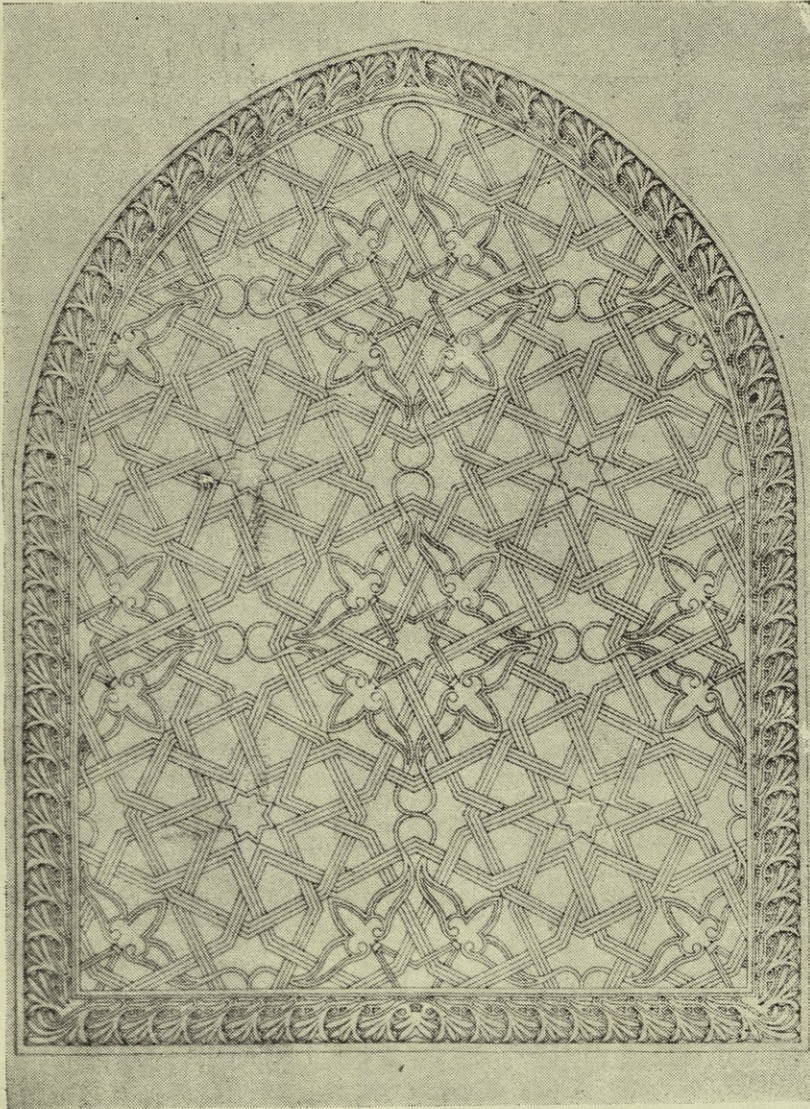
ونعوش هذا اللوح تماثل ، كما لاحظ هرزفيلد ، الزخارف التي انتشرت زمن السلطان
بيبرس وقلاوون . ونشبه الزخارف التي نجدها في التربة الظاهرية بدمشق .
زخارف المعبر - ونوق هذا اللوح ، نجد إطاراً من الحجر ، يلف حول
الإيوان كله يبدأ من الحائط الغربي ، فيمر فوق اللوح وينتهي في الحائط الشرقي
وفيه زخارف تماثل اللوح السابق : أغصان كرمة متشابكة متعرجة متكررة
وأوراق كثيرة ، وعناقيد صغيرة . وفيه يبدو « قرن الخصب » ، وهو قرن كان



قطعة من الإطار الحجري المزخرف

يُملأ بالزهور والفواكه ، عند اليونان ، ويرمز إلى الخصب والبركة . وهنا
نجد واضحاً تأثير الفن الهليني في الفن الإسلامي . وفي منتصف الإطار ، في

محور الإيوان ، دائرة فيها زهرة الزنبق ، وهي شعار مملوكي . وهذا يثبت أن
هذه الخزارف قد صُنعت في زمن المماليك ، أي في زمن آقوش النجيبى ، أو

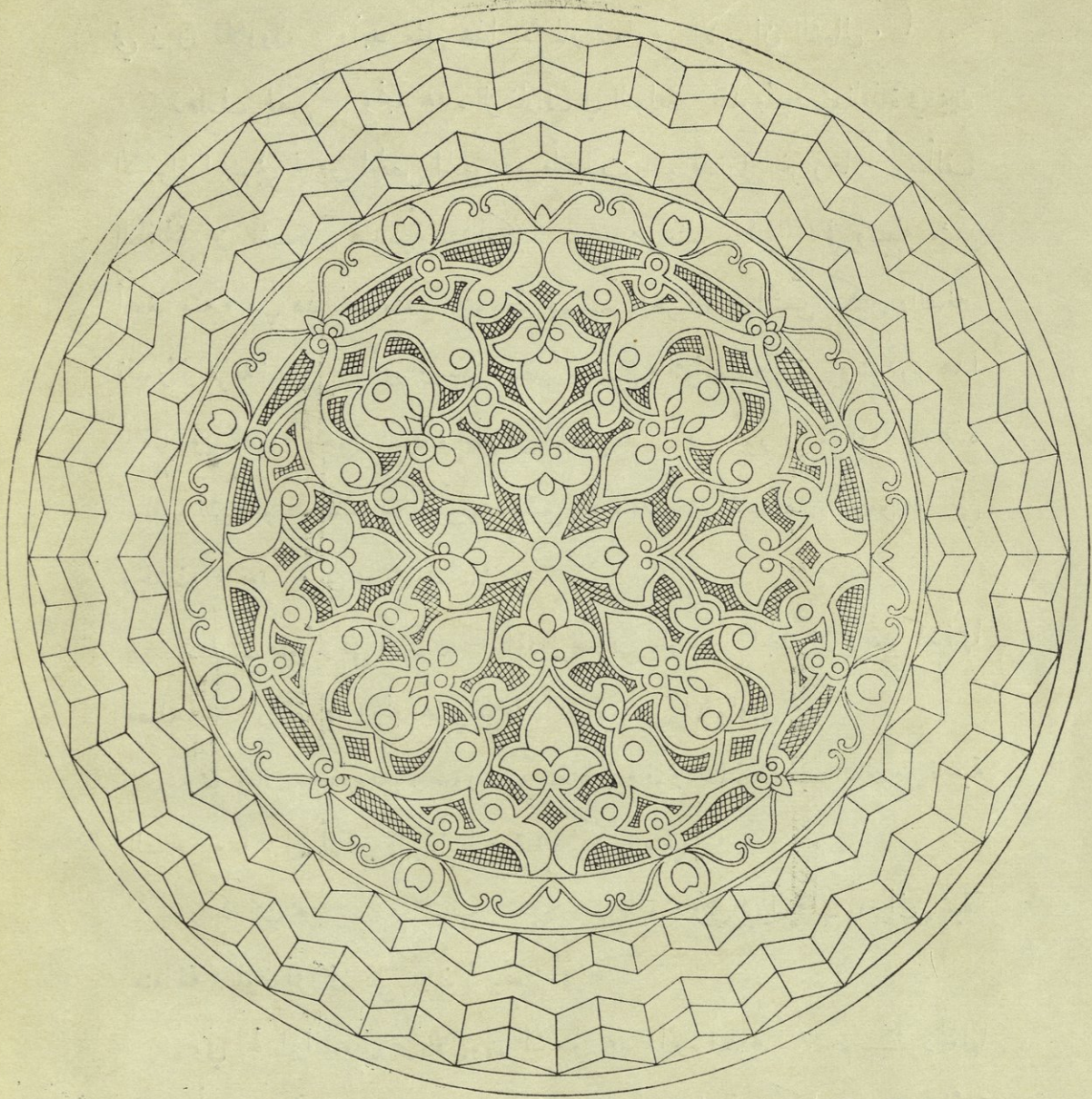


إحدى النوافذ الجصية

في زمن فلاوون . ونجد مثل هذا الإطار تماماً في الإيوان الشمالي .
 زخارف الجص - ونجد هذه الزخارف في النوافذ . فقد وجدت نافذة في يمين
 الإيوان الجنوبي ، من الجص المحفور ، فأعيدت النوافذ على غرارها . وتتألف
 النافذة من أشكال هندسية متشابكة ، تخرج من مثنى كبير ، في وسطه مثنى
 أصغر منه ، وفي هذا نجم مثنى ، يتوسط نجم مثنى آخر . وبين المثنى الكبير والصغير
 تدور زخرفة نباتية من أوراق علق بعضها ببعض ، فتؤلف دائرة . ويتكرر هذا
 النقش ويتناظر . وحول النافذة إطار من الجص نقش فيه أوراق مترادفة . وهذه
 النافذة تشبه نوافذ المسجد المظفرى بدمشق ، وتختلف في أشكالها عن النوافذ التي
 وجدت ، بعد ، في عصر المماليك .

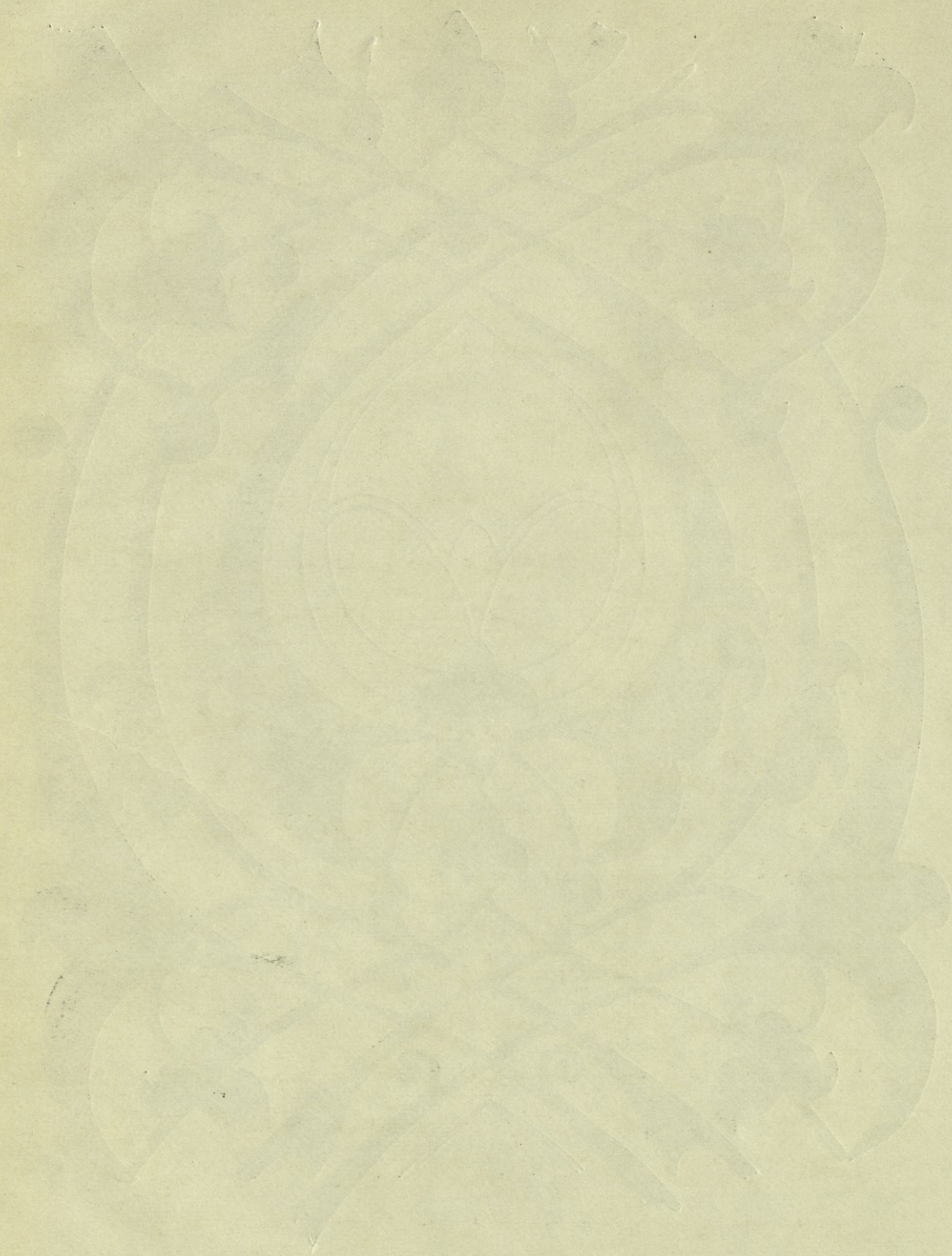
زخارف ملونة على الجدران - أما الزخارف الملونة على الجدران ، فقد كشفها
 مصلحة الآثار القديمة ، ونجدها في بواطن العقود ، وفي الأواوين .
 وما يجلب النظر صور طاووسين متقابلين ، فوق صدر الباب الثاني من ناحية
 الصحن وما تزل ألوان ذنبيهما ظاهرة ، ولكنها ضعيفة .
 وكذلك نجد زخارف نباتية متشابكة ، متناظرة ، وهي في الغالب أوراق رشيقة
 متعاقبة ، بلون أزرق على أرض بيضاء أو حمراء .

وفي الجدار الشمالي من الإيوان الشمالي نجد دائرة قطرها ٨٠ سم في داخلها
 دائرة أخرى قطرها ٥٠ سم وبين الدائرتين خطوط متوازية متكسرة . وفي الدائرة
 الصفراء زخارف نباتية متناظرة . ونلاحظ من الألوان التي في هذه الدائرة ، الذهبي ،
 البنفسجي ، الرمادي ، الأخضر ، الأزرق ، الأبيض .



الدائرة الملونة في الايدوان الشرقي





الكتابات القديمة: نجد في هذا البيمارستان عشر كتابات نقش في النحاس ، أو الرخام أو الحجر أو على الجدران وهي :

الكتابة الأولى : في رأس باب البيمارستان ، مطر 'حفر في النحاس ، يمتد عرضاً على مصراعي الباب ، نصه مايلي :

« عز لمولانا الملك العادل العالم الزاهد المجاهد الم رابط المؤبد المعظم المنصور نور الدين ركن الاسلام والمسلمين محي العدل في العالمين ناصر الحق بالبراهين منصف المظلومين من الظالمين ، قاتل الكفرة و لمشر كين أبي القاسم محمود بن زنكي بن آق سنقر ناصر أمير المؤمنين آدم الله أيامه »

الكتابة الثانية : فوق الباب الثاني ، تحت القبة المقرأة ، وضعت بعد إصلاح البيمارستان زمن السلطان قلاوون . وهذا نصها :

بسم الله الرحمن الرحيم . والذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ، ثم لا يقبعون ما أنفقوا منها ولا أذى ، لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون . وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله ، هو خيراً وأعظم أجراً . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث ، علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له أو صدقة جارية . والمولى الشهيد السلطان الغازي سيف سبيل الله نور الدين أبو القاسم محمود بن زنكي بن آق سنقر قدس الله روحه بمن جمع الله لقاته وصف العالمين ومن شرط وقفه الذي أشهد به على نفسه أنه وقف على البيمارستان المعروف بانشائه وجعله مقرّاً لتداوي الفقراء والمنقطعين من ضمة المسلمين الذين يرجى بروتهم . وهو يستعدي إلى الله تعالى على من يساعد في تغيير مصارف وقفه وإخراجها عما شرط حاكمه ويخاصم بين يديه يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً . وجدد ما كان تهدم من بنيائه وبنياء أوقفه في الأيام السلطانية العادلة المنصورية الصالحية خلد الله سلطانها بنظر الفقير إلى الله تعالى عمر بن أبي الطيب غفر الله له ولمن أعانته من المسلمين على عمارة هذا الوقف

المبارك • وكان الفراغ منه في العشر الأوسط من شهر ربيع الآخر في سنة اثنين
وثمانين وستائة •

وأول من نقل هذه الكتابة من المستشرقين فان برثم سنة ١٨٩٤ •

الكتابة الثالثة : عصابة تلف حول القبة المقرنة ، فيها آيات قرآنية • الكتابة
بيضاء على أرض حمراء • فيها :

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم • يبدشهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها
نعيم مقيم • خالدين فيها أبداً إن الله عنده أجر عظيم • صدق الله العظيم • أعوذ بالله
من الشيطان الرجيم هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق •••••

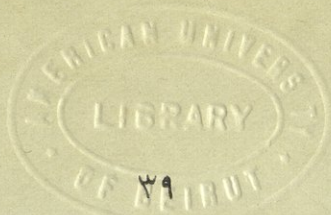
الكتابة الرابعة : فوق الباب الثاني من ناحية الصحن • فيها •
« إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته
عليك ، ويهديك صراطاً مستقيماً »

الكتابة الخامسة : على حافة عقد الدهايز الذي بعد الباب الثاني من ناحية الصحن
كالأبقة يضاف إليها : وبصرك الله نصراً عزيزاً هو الذي أنزل •••

الكتابة السادسة : في الغرفة التي على يمين الداخل ، في أعلى الحائط الجنوبي
هذا نصها :

« بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين • جددت هذه العمارة المباركة في أيام
مولانا السلطان الاعظم ••• الدنيا والدين سلطان الاسلام والمسلمين خلد الله
سلطانه ببقاء ولده مولانا السلطان الملك السعيد ناصر الدنيا والدين محمد بتقديم العبد
الفقير إلى الله تعالى آقوش النجيبى الملاكى الظاهري •

الكتابة السابعة : في الغرفة نفسها ، في أعلى الحائط الشمالي ونصها :
« بسم الله الرحمن الرحيم • جددت عمل هذه القاعة المباركة ودهانها وعمل صقايها
وبياضها في أيام مولانا السلطان ابن السلطان ابن السلطان الملك الناصر ناصر الدنيا
والدين بدر الدين حسن خلد الله ملكه في نيابة مولانا ملك الأمراء سيف الدنيا



واللهيا أرغون شاه أعز الله أنصاره بنظر مولانا القاضي شمس الدين أبي عبد الله محمد بن القرشي نقبل الله منه ، في شهر المحرم سنة تسع وأربعين وسبعمائة . والحمد لله . وصلى الله على سيدنا محمد وسلم . »

الكتابة الثامنة : في الإيوان الجنوبي ، حول حافة العقد من ناحية الصحن فيها آيات قرآنية ظهر بعضها ومحي بعضها الآخر :

بسم الله الرحمن الرحيم المستقر العرش . بفشي الليل
النهار يطلبه حثيثا ، والشمس والقمر والنجوم مخرّات بأسره ألا له الخلق والأمر
تبارك الله رب العالمين ادعوا ربكم تضرعا وخفية ، إنه لا يحب المعتدين . ولا
تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها

الكتابة التاسعة : في الإيوان الشرقي الكبير ، في الحدئط الجنوبي ، فوق
الخرستان ، قطعة من رخام أخذت من إحدى الكنائس . في وسطها :

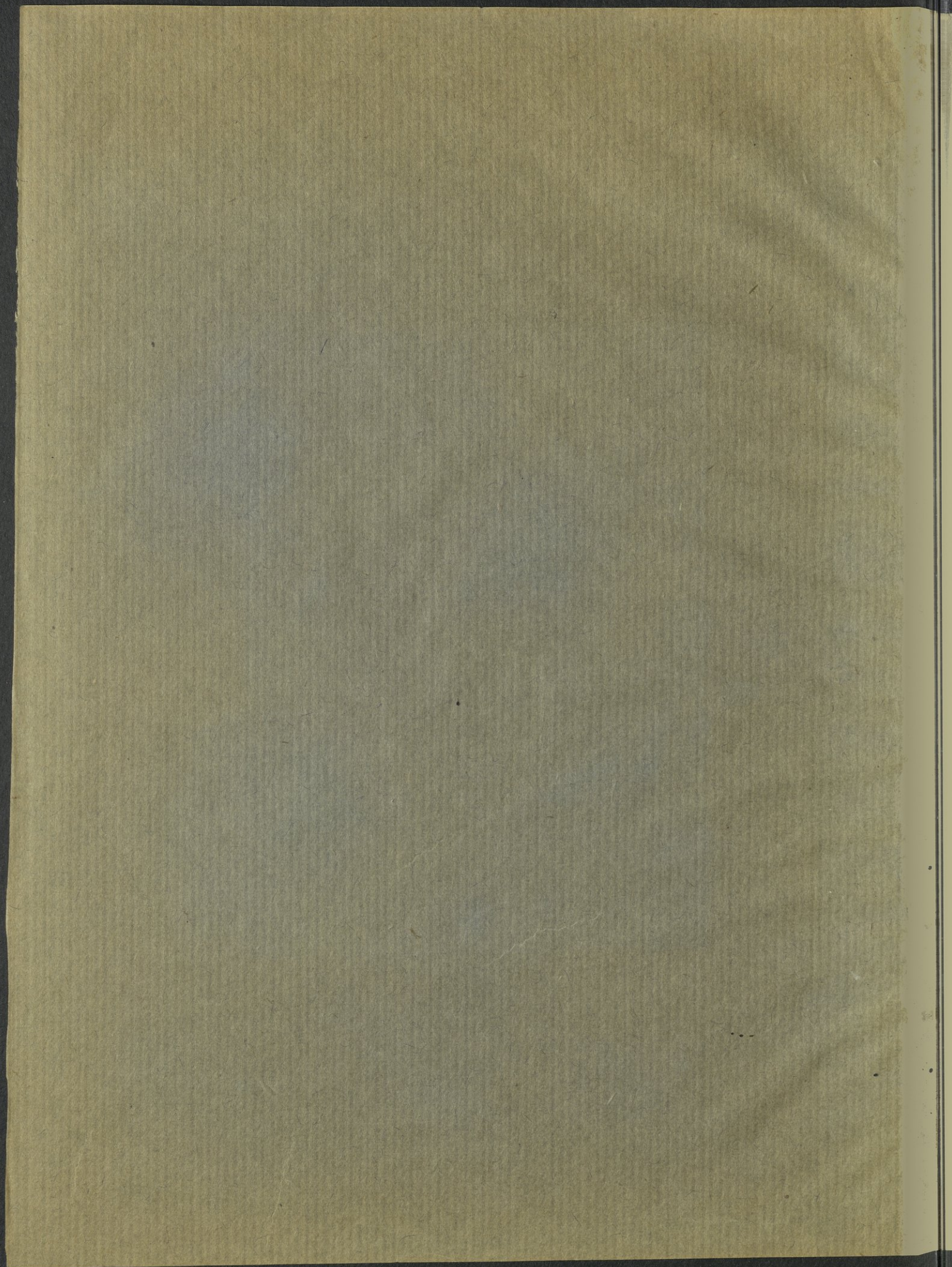
« . مولانا الملك العادل العالم الغازي الزاهد المجاهد نور الدين ركن الاسلام والمسلمين
أبو القسم محمود بن زنكي بن آق سنقر ناصر أمير المؤمنين .
وحولها : بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما أص بتمام عمارته الفقير إلى الله في سعة
رحمته لا للخلود فيه بل للمقام به مدة الاجل المحصي والعمر المقدر المقضي وذلك
في سنة تسع وأربعين وخمسمائة . »

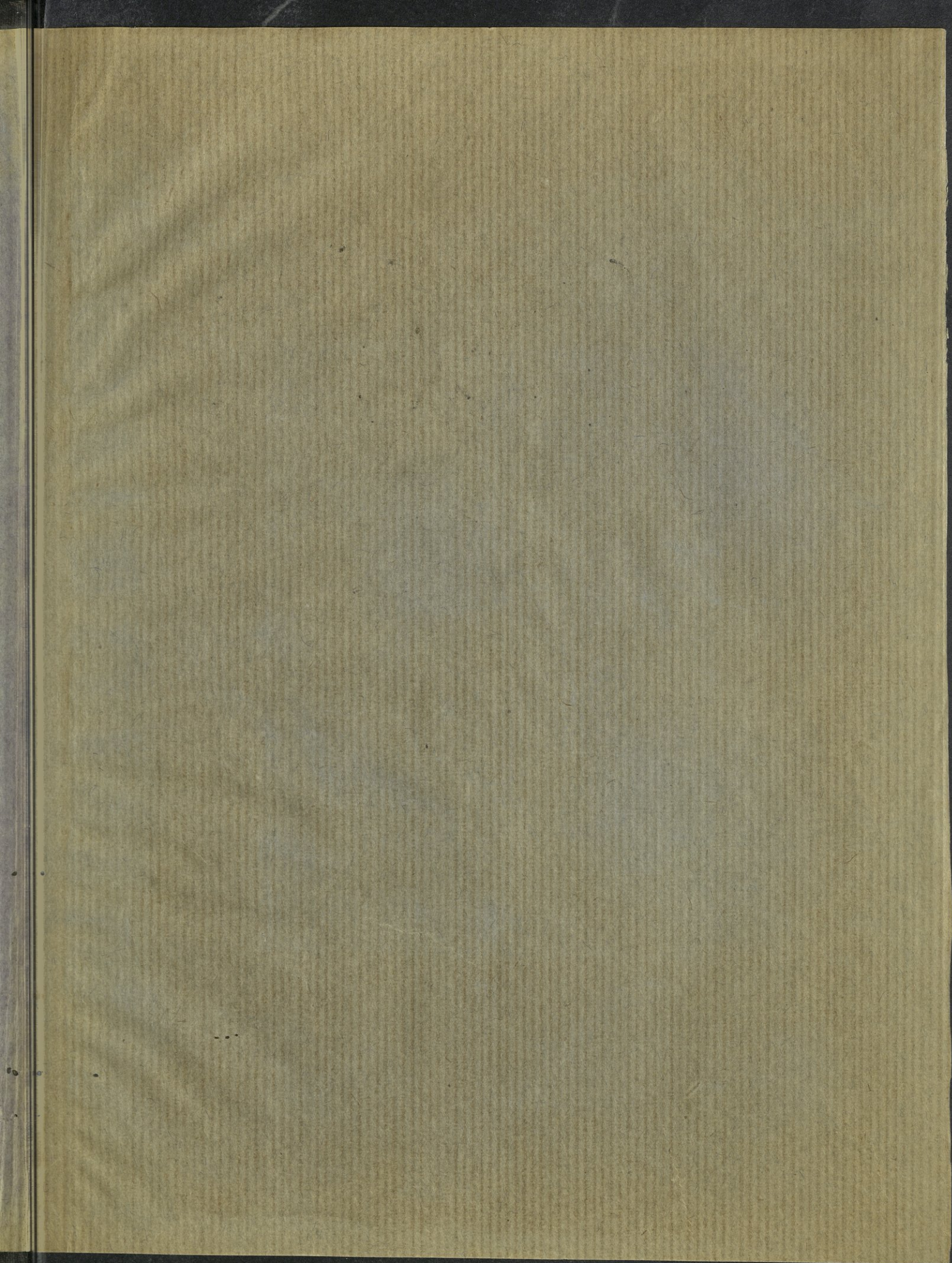
الكتابة العاشرة : في طرف العقد في الإيوان الشمالي ، من ناحية الحائط الشمالي
عصابة فيها :

« بسم الله الرحمن الرحيم . لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم ،
حريص عليكم ، بالمؤمنين رؤوف رحيم . فان تولوا نقل حسي الله ، لا إله إلا هو
عليه توكلت وهو رب العرش العظيم . »

وفيه كتابة ثابتة على حجر وهي مرسومة بملوكي ، لم أستطع قراءتها .







362.11:M96aA:c.1
المنجد، صلاح الدين
بیمارستان نور الدين
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01020774

American University of Beirut



362.11
M96aA

General Library

362.11
M96aA
c.1